غزوات كريم خان الزند للبصرة

تمكن كريم خان من اقامة الدولة الزندية التي حكمت ايران من 1750 الى 1779 والسيطرة على ارجاء ايران ولم يكتف بذلك وانما توجه الى البصرة بجيش قادة شقيقه صادق خان لقمع حاكمها سليمان اغا الذي تحالف مع احد شيوخ الخليج ضد بلاد فارس وكان يرسل له الامدادات بالإضافة الى المساعدات التي يقدمها البريطانيون الى سليمان اغا.

كان ذكريات التعاون بين البصرة وعمان سببا" للقطيعة بين كريم خان وولاة بغداد بالإضافة الى الحجة التي ساقها كريم لتبرير احتلاله للبصرة هو سوء معاملة الزوار الفرس والضريبة التي تفرض عليهم عند مرورهم بولاية بغداد في طريقهم الى الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف وطلب كريم خان من الدولة العثمانية راس عمر باشا اذا لم يلغوا الضريبة الا ان السلطان العثماني رفض ذلك واعتبرها اتهامات فارسية.

وعند اعتلاء كريم خان الزند العرش الايراني واعلانه الوصي او الوكيل عن الدولة الصفوية تغيرت الظروف الدولية والاقليمية مما ساعد كريم خان على تحقيق طموحاته في احتلال البصرة هو مالم يحققه اسلافه من شاهات ايران

اختلفت سياسة الحكومة الفارسية في منطقة الخليج العربي فبعد ان سحبت قواتها من الهند وافغانستان عممت وجهها الى الخليج العربي رغبة منها في اخضاعها وضمها الى الدولة الصفوية لاسيما المناطق المتاخمة لحدودها في العراق فتمكنت من احتلال البصرة ومارست ضغوطا" على عمان خاصة في الجزر والموانئ ومما ضاعف اهتمام الحكومة الصفوية بالخليج العربي عدة عوامل

1- اعتقاد كريم خان بسهولة الاستيلاء على بعض المناطق الاستراتيجية في الخليج لتردي الاحوال الداخلية فيها

2- تزايد التنافس بين القوى الاوربية الاستعمارية حول منطقة الخليج العربي

3- تخوف الفرس من نمو البحرية العربية التي هددت استقرارها وامنها خاصة القوى العمانية التي تنامت في عهد السيد احمد بن سعيد والقواسم

4- ظهور الشقاق بين الحكومة الايرانية وعرب الحولة المسيطرين على الموانئ الفارسية

5- العلاقات بين عرب الحولة وشركة الهند الشرقية البريطانية والتي كانت مهيأة الى ابرام الاتفاقيات بين العرب القاطنين على الساحل الشرقي وشركة الهند الشرقية البريطانية

اتسمت العلاقات العمانية الفارسية بالتذبذب وعدم الاستقرار منذ ظهور الدولتين الحديثتين في ايران وعمان فعلى الرغم من عدائيتها الا انها كانت تميل الود والتحالف في بعض الاحيان ، ففي عام 1770 قامت السفن العمانية بمظاهرة بحرية امام ميناء بوشهر ردا" على الاجراءات الفارسية بهدف تهديد الحكومة الفارسية المصالح العمانية في الجزر والموانئ الفارسية على حين ان ذلك لم يلغ رغبة الدولتين في التحالف ضد القواسم وعرب الحولة المنافسة للعمانيين في مياه الخليج العربي

كرس كريم خان جهودة لاخضاع عمان واحتلالها عدة مرات ففي سنة 1769م طلب كريم خان من الامام احمد اعادة باخرة ضخمة كان قد اشتراها اخيرا" من حاكم هرمز باعتبار ان الباخرة تابعة للفرس ولكن الامام رفض

ولكن السبب الحقيقي كان يعدو الى مطالب مالية وامنية فقد طلب كريم خان من المبالغ المستحقة لايران

وهي الضرائب التي وافق عليها السيد احمد بن سعيد دفعها لنادر شاه مقابل انسحاب القوات الايرانية من عمان الا ان العمانيين رفضوا واعتبروا الاموال التي وافق امام عمان على دفعها لنادر شاه لم تكن مشروعه وان السيد احمد بن سعيد استفاد من هذه الاتفاقية اذ لم يكن

باستطاعة القوات العمانيية في تلك الفترة مواجهة القوات الايرانية الناهظة التي تعتبر اقوى جيوش المنطقة ليس في الخليج فحسب وانما المناطق المجاورة له فقد تخلى كريم خان عن جميع الاراضي التي احتلتها القوات الايرانية في عهد سلفة نادر شاه دون ان يفرط في شبر من اراضي دولته وكان هذا الموقف نابعا" من حكمة كريم خان وقناعته بان القدرة على الاحتفاظ بالأراضي المحتلة اهم من احتلالها

ان سبب توتر العلاقات العمانية – الفارسية تعود الى ماحرزتة عمان من نفوذ في كثير من المناطق والجزر الواقعة في الخليج العربي وسواحلة الشرقية مثل شميل ومينات وجزيرة قشم فضلا" عن تمكن عمان في عقد كثير من التحالفات مع القوى العربية في غربي الخليج وشرقيه بخاصة عندما تهدد مصالح هذه القوى للخطر مما ادت هذه التحالفات الى اضعاف محاولات كريم خان للسيطرة على مناطق الخليج العربي او احتلال عمان منها تحالف الامام احمد بن سعيد مع شيخ القواسم عام 1773م لمواجهة الخطر الفارسي الذي اخذ يهدد الساحل الغربي للخليج وفيها قدم الشيخ راشد حاكم راس الخيمة مساعدتة للشيخ خليفان حاكم مسقط وتمكن الطرفان من مهاجمة ميناء بندر عباس وتدمير سفينتين فارسيتين في الميناء فضلا" عن تحطيم مستودع عسكري للذخيرة

حاول حكام عمان تقوية صلاتهم مع القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي بوجه الخطر الفارسي وخاصة قبائل كعب والثابت حيث كانت هذه القبيله في اوج ازدهارها في عهد الشيخ سلمان بن سلطان

وقد سعى الكعبيين الى تحسين العلاقة مع عمان وتقدمت بطلب المساعدة الفنية من الامام احمد بن سعيد لبناء اسطولها الحربي وتعزيز قواتها العسكرية للمحافظة على استقلالها ومواجهة الاطماع الاجنبية ، فقد استجاب حاكم عمان لطلب الكعبيين الذي كان يسعى لاقامة تحالفات مع الساحل الشرقي للوقوف بوجهة الاطماع الفارسية واصبح اسطول بني كعب من اقوى الاساطيل في الخليج العربي

اظهر امام عمان رغبة في انهاء الصراع بينه وبين فارس على ان تجري المفاوضات على اساس الصداقة والود مع الفرس وان لاتمس سيادة بلادة غير ان الشيخ ناصر مبعوث كريم خان لم يحمل غير الشروط السابقة التي عدها الامام مهينة لبلادة فرفضها رفضا" قاطعا" وبذلك اخفقت المفاوضات مع امام عمان

محاولة كريم خان احتلال البصرة

ومن اهم العوامل التي ادت الى احتلال البصرة

العوامل الاقتصادية في عام 1763 قررت شركة الهند الشرقية البريطانية نقل وكالتها التجارية من بندر عباس الى البصرة واقفت جميع اعمالها في بندر عباس ومن دواعي هذا القرار ان الموقع الجغرافي لبندر عباس لم يكن يخدم التجارة لبعد هذا الميناء عن المراكز الاقتصادية مثل طهران واصفهان وشيراز اضافة الى الاوضاع الامنية لهذه المدينة مما زاد غضب كريم خان على نقل الوكالة اذ كان له اسوء الاثر على الاقتصاد الايراني

كان ذكريات التعاون بين البصرة وعمان سببا" للقطيعه بين كريم خان وولاة بغداد بالاضافة الى الحجة التي ساقها كريم لتبرير احتلالة للبصرة هو سوء معاملة الزوار الفرس والضريبة التي تفرض عليهم عند مرورهم بولاية بغداد في طريقهم الى الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف وطلب

كريم خان من الدولة العثمانية راس عمر باشا اذا لم يلغوا الضريبة الا ان السلطان العثماني رفض ذلك واعتبرها اتهامات فارسية

وعند اعتلاء كريم خان الزند العرش الايراني واعلانه الوصي او الوكيل عن الدولة الصفوية تغيرت الظروف الدولية والاقليمية مما ساعد كريم خان على تحقيق طموحاتة في احتلال البصرة هو مالم يحققه اسلافه من شاهات ايران

طلب كريم خان من متسلم البصرة وممثلي شركة الهند الشرقية الانكليزية في مطلع عام 1774م ان يمدوه بالمساعدة البحرية لمهاجمة عمان او انه سيرسل قوة لتدمير البصرة الا ان الاثنين اعتذروا عن تلبية طلب الشاه

فقد اتهم الشاه سليمان اغا متسلم البصرة ووالي بغداد بتقديم مساعدات الى العمانيين خلال هذه الفترة وتعد الاساس لحقد كريم خان على البصرة

بعد حصار الفرس للبصرة لم يرسل ولاة بغداد اية امدادات حربية لنجدة المدينة وقام مصطفى باشا بارسال رسالة الى متسلم البصرة اظهر فيها عجزة عن امداد البصرة باية قوة واتخذ ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية الانكليزية في البصرة مثل هذا الموقف بعد ان تعهدوا بحماية المدينة من ناحية النهر

اما الدولة العثمانية فكانت على العكس من بلاد فارس حيث كانت تمر بمرحلة حرجة فظهرت في ولاياتها الانقسامات والاضطرابات وتوقفت فيها الحركة الاصلاحية التي انتعشت في عهد السلطان محمد ، كما ان الاوضاع الاقتصادية سادها الركود واصبحت عاجزة عن دفع رواتب الجنود مما كان سببا" في تفشي الفساد والفوضى في كافة المجالات واقترنت هذه الاوضاع المتردية في

الولايات العثمانية بظهور المسالة الشرقية عندما تكالبت الدول الاوربية ولاسيما روسيا لمناصرة شعوب البلقان عام 1774

عمل الوالي العثماني عمر باشا على تحسين الاوضاع الاقتصادية والتجارية وتمكن من اقناع المسؤولين في شركة الهند الشرقية البريطانية من نقل وكالتهم من بندر عباس الى البصرة واصبحت البصرة منذ عام 1763 المركز التجاري الرئيس للشركة في الخليج لكن الاوضاع الامنية لم تستمر طويلا" على نفس الحالة لعدة اسباب

الكوارث الطبيعية التي توالت على بغداد من مرض الطاعون والقحط في اواخر عهد الوالي عمر باشا كما بدأت الفتن والصراعات واخذت القبائل العربية تعارض السلطة في بغداد والبصرة

بالاضافة الى الحصار الذي احكمتة القوات الايرانية على البصرة عام 1775 ثم احتلالها بعد اربعة اشهر من المقاومة

اما بريطانيا فقد ادركوا ان مصالحهم التجارية في البصرة لايمكن ان تستمر في الظروف الراهنة فقد صمم المستر مور الوكيل البريطاني هناك باغلاق الوكالة في 20 شباط 1774 فنقل شحنة من البضائع المخزونة في الوكالة الى السفن الراسية في ميناء البصرة وقد احتج متسلم البصرة على تلك الاجراءات لما لها من فعالية واثارة القلق والرعب بين ابناء البلاد المنكوبة وهذا ماكان يتطلع اليه كريم خان الذي حاول الانتقام من البصرة والبريطانيين واعادة الوكالة الى بوشهر وكان الايرانيون يعتقدون بان احتلال البصرة واخضاعها للحكومة الفارسية يمكنهم من احتلال عمان ايضا" فقد استعدت السفن العمانية لمساعدة متسلم البصرة اذا دعت الحاجة الى ذلك

كان الايرانيون على معرفة تامة باحوال متسلميه البصرة وولاية بغداد فكانت البصرة خالية من الوسائل الدفاعية واعتقدوا انه يمكن الاستيلاء على الميناء بسهولة لعدم وجود حامية كبيرة فيها

وكان كريم خان يسعى لاحتلال جميع الاراضي العراقية لوجود العتبات المقدسة وكذلك الانتقام من العثمانيين الذين كانوا ياوون معرضين الصفويين الذين يلجؤون الى العراق مثل سليمان الكعبي وغيره ، قاد صادق خان حملة قوامها عشرين الف جندي تقريبا" وانضم اليها اثنتا عشر الف بقيادة شقي خان

مضى كريم خان في تحقيق اطماعه التوسعية مدعيا" ان عمر باشا والي بغداد قد اساء معاملة الحجاج الايرانيين الى العتبات المقدسة ، كان كريم خان يعتقد ان الجيش العائد من افغانستان الى ايران سيصبح خطرا" على الدولة فاراد اشغال ذلك الجيش بالحرب مع الدولة العثمانية وفي ارض عزيزة على قلوب الايرانيين وهي العراق لوجود العتبات المقدسة فيها بالاضافة الى الكود الاقتصادي الذي كانت تعاني منه ايران

وفي 15 كانون الثاني 1775 وصلت انباء الى الوكالة البريطانية في البصرة ان جيشا" صفوي مكونا" 50 الف رجل غادر شيراز عن طريق بوشهر بقيادة صادق خان واستفاد الصفويين من المساعدات التي قدمتها لهم بني كعب في اقليم خوزستان

فقد ساعدت صادق خان بنقل الجيش الايراني الى الساحل الغربي لشط العرب فوصلت القوات الصفوية الى البصرة وعرض صادق خان استعداد حكومتة للتخلي عن البصرة لقاء مبلغ كبير من المال غير ان المؤولين لم يستجيبوا للمطالبة وطردوا مبعوثه من المدينة

شدد الفرس الحصار على البصرة في محاولة للاستسلام واستمر اربعة اشهر فقاومهم اهالي البصرة ببسالة بتشجيع من متسلم البصرة سليمان اغا الذي طلب من مواطنيه الدفاع معتمدين على الذخيرة والمؤن المتوفرة لديهم

ولم تقدم الدولة العثمانية المساعدة لوالي بغداد عمر باشا بسبب الخلافات بينهم فقد اتهم سكان البصرة عمرباشا بالعجز والخيانة الا ان الوالي قد طالب بالمساعدات والمعونة من الاستانة الا ان مطالبة لم تلق عناية لذا فان الدولة العثمانية قد فشلت في حل الخلافات ولم تتخذ اي اجراءات حاسمة لرفع الحصار عن اهل البصرة فقد اضطر اهل البصرة الى الاستسلام بعد ان نفذت ذخائرهم واسلحتهم ولم ينجدهم احد من الباب العالي وشركة الهند الشرقية البريطانية

عزلت الدولة العثمانية الوالي عمر باشا وعينت الوالي علي باشا فكان هذا الوالي عكس اسلافه حيث حث متسلم البصرة بالاستسلام للإيرانيين بالاضافة الى ان علي باشا كذب على الدولة العثمانية وقال اننا اصطلحنا مع العجم وان جيوشهم تفرقت عن البصرة وعادت الى مقرها كما انه لم يكن دور للوالي قي المفاوضات التي جرت بين المتسلم ووجهاء البصرة وبين الايرانيين وهكذا دخلت القوات الصفوية البصرة عام 1776

ولم يكن للدولة العثمانية دور بارز في الدفاع عن البصرة رغم ان هذه القضية تخص جزء من ولاياتها ويعدو السبب الى ذلك الى الاوضاع الحرجة التي تمر بها الدولة العثمانية حاولت

الدولة العثمانية انقاذ البصرة الا ان قواتها البحرية في الخليج لم تكن مجهزة فبدات الاتصالات بين الباب العالي وبعض حلفائه في الخليج والمحيط الهندي مثل حكام عمان ومليبار